المحاضرة التاسعة:

المعرّب والدخيل في اللغة العربية:

أ- المعرب لغةً: هو اسم مفعول من الفعل "عرّب" والمصدر تعريبا، ويعني جعل الشيء عربيًا

ب- المعرب اصطلاحًا: هو ما استعملته العرب من الألفاظ غير العربية، بتعريبها وتغيير صيغتها لتوافق أوزان اللغة العربية. وقد عرفه الجوهري بأنه "تعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على منهاجها"[1] للمعرّب عدة أسماء مرادفة، مثل: التعريب، الدخيل، والمولّد.[2] ويرى علي عبد الواحد وافي أن الدخيل في اللغة العربية يشمل "الدخيل الأجنبي، المعرب، والمولد" ويقصد بالدخيل الأجنبي الألفاظ التي دخلت العربية من لغات أخرى، سواء استعملها العرب الفصحاء في الجاهلية والإسلام، أو استعملها المولدون من بعدهم[3]

وقد حدد الباحثون المحدثون الفصحاء من العرب بعرب البدو في جزيرة العرب حتى أواسط القرن الرابع الهجري، وعرب الأمصار حتى نهاية القرن الثاني الهجري، واعتبروا هذه العصور هي عصور الاحتجاج اللغوي. أمّا المولدون، فهم من عدا هؤلاء، حتى لو كانوا من أصول عربية[4]

يُطلق على ما استعمله فصحاء العرب من الدخيل الأجنبي اسم "المعرّب"، بينما يطلق على الألفاظ الأعجمية التي استعملها المولدون ولم يعربها الفصحاء اسم "الأعجمي المولد"

ثالثًا: الخلاف حول وجود المعرب في القرآن: اختلف العلماء في وجود ألفاظ معربة في القرآن الكريم على ثلاثة أقوال وهي:

القول الأول: المنع وهو قول الإمام الشافعي وابن فارس وغيرهم. واستدلوا بآيات مثل: ﴿قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾ و﴿ و لَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾(فصلت/44). وقد أنكر الشافعي بشدة على من قال بوجود المعرب في القرآن4

1.المزهر،ج 1،ص 68.

2. الصحاح ،ج1،ص 271.

3.علي عبد الوافي، فقه اللغة ،ص153.

4. الصاحبي ص32_33

ويرى آخرون أن الألفاظ كلها عربية، ولكن اللغة العربية واسعة جدًا، وقد تخفى بعض المعاني على كبار العلماء، كما خفي على ابن عباس معنى كلمتي "فاطر" و"فاتح."[5]

** القول الثاني: القائلون بالوقوع:** يستدلون بما روي عن ابن عباس ومجاهد ، حيث ذكروا أن بعض الأحرف والكلمات أصلها بلغات أخرى، مثل "طه"، "اليم"، "الطور"، و"الربانيون" بالسريانية، و"الصراط"، "القسطاس"، و"الفردوس" بالرومية، و"مِشكاة"، و"كِفلين" بالحبشية، و"هيت لك" بالحورانية.[6]

ويرد المجيزون لوقوع المعرب على الآيات التي تصف القرآن بالعربية بأن وجود كلمات يسيرة بغير العربية لا يخرجه عن كونه عربيًا، كالقصيدة الفارسية التي لا تفقد فارسيّتها بوجود كلمة عربية فيها. كما فسروا قوله تعالى: ﴿أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ بأن المعنى هو "أكلام أعجمي ومخاطب عربي."[7]

** القول الثالث: الجمع بين الرأيين:** يرى أبو عبيد القاسم بن سلام أن كلا القولين السابقين صحيح، فالأحرف التي قيل إنها أعجمية هي كذلك في أصلها، ولكن العرب عربتها بألسنتها وحولتها إلى ألفاظ عربية، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال إنها عربية فهو صادق، ومن قال إنها أعجمية فهو صادق[8]. وقد تبنى هذا الرأي الجواليقي وابن الجوزي وغيرهما

5.ينظر: الإتقان في علوم القرآن، ،ج2،ص 105.

6.ينظر: المرجع نفسه،ص106

7.ينظر: الصاحبي، ص33

**

ويوضح الجواليقي أن هذه الحروف كانت بغير لسان العرب في الأصل، ثم لفظت بها العرب بألسنتها وعربتها، فأصبحت عربية بتعريبها، فهي عربية في هذه الحال، أعجمية الأصل، وهذا القول يصدق الفريقين جميعًا.[9]

ويبدو أن هذا الرأي هو الأقرب للصواب، فمن قال في كلمة "سرادق" مثلاً: إنها فارسية، بمعنى أنها انتقلت إلى العرب من الفرس فهو مصيب، ومن قال: إنها عربية، بمعنى أن العرب كانت تعرفها وتستعملها قبل نزول القرآن، والقرآن نزل بلغة تفهمها العرب، فهو مصيب كذلك.

رابعًا: المؤلفات في المعرب: أفرد بعض العلماء هذا الموضوع بمؤلفات خاصة، منها:

** .1المُعَرَّب** لأبي منصور الجواليقي (ت450هـ): يُعد أقدم وأشهر مؤلف في هذا الباب10 وقد وصفه السيوطي بأنه كتاب حسن ومفيد[11]

** .2في التعريب والمعرب:** المعروف بـ"حاشية ابن برّي على كتاب المعرب" لابن الجواليقي.

** .3المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب:** للسيوطي، وقد لخص فوائده في كتابه "الإتقان في علوم القرآن"[12]

هذه أشهر الكتب في المعرب، بالإضافة إلى كتب أخرى تناولته ضمن موضوعات أوسع، مثل كتاب الصاحبي لابن فارس، الذي خصص عدة أبواب للحديث عن المعرب، خاصة في "باب القول في اللغة التي نزل بها القرآن."[13]

10. المزهر ،ج 2،ص 268.

11. الإتقان، ج 2،ص 108.

12، المعرب، ص6.

13. المرجع نفسه،ص7

القول الثالث: رأي التوفيق والجمع بين الأقوال: يرى أبو عبيد القاسم بن سلام، بعد استعراضه الآراء السابقة، أن الحق يكمن في تصديقها جميعًا. فالكلمات ذات الأصول الأعجمية، كما ذكر الفقهاء، قد استعملها العرب وعرّبتها بألسنتهم، محولين إياها من هيئتها الأصلية إلى هيئة عربية. وبذلك، عندما نزل القرآن، كانت هذه الحروف قد اختلطت بالفعل بكلام العرب. لذا، فإن القول بعربيتها أو أعجميتها هو قول صحيح. وقد تبنى هذا الرأي كل من الجواليقي وابن الجوزي وغيرهما.14

ويوضح الجواليقي أن هذه الحروف، في أصلها، لم تكن جزءًا من لسان العرب. ولكن العرب استخدموها وعرّبوها، لتصبح عربية بتعريبهم لها. فهي إذن عربية بالوضع الحالي، ولكنها أعجمية من حيث الأصل. وهذا يوافق بين وجهتي النظر15

ويبدو أن هذا الرأي يمثل مخرجًا مقبولًا. فعندما نقول عن كلمة مثل "سرادق" أنها فارسية، فإننا نشير إلى أصلها اللغوي وانتقالها إلى العربية من الفارسية. وفي المقابل، عندما نقول إنها عربية، فإننا نعني أن العرب كانوا على دراية بها ويستخدمونها قبل نزول القرآن الكريم، الذي نزل بلغة يفهمونها16

** رابعًا: مصنفات في علم المعرب:** قام عدد من العلماء بتأليف كتب خاصة تتناول هذا العلم، ومن بين هذه الكتب:

** .1 المُعَرَّب** لأبي منصور الجواليقي (ت 450هـ): يُعتبر هذا الكتاب أقدم وأشهر ما أُلف في هذا المجال. وقد وصفه السيوطي بأنه كتاب مفيد

** .2في التعريب والمعرب:** وهي "حاشية ابن برّي على كتاب المعرب" للجواليقي.

** .3المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب:** للسيوطي، وقد قام بتلخيص أهم ما جاء فيه في كتابه "الإتقان في علوم القرآن."

تُعد هذه الكتب من أبرز المراجع في علم المعرب. بالإضافة إلى ذلك، هناك العديد من الكتب الأخرى التي تطرقت إلى هذا الموضوع ضمن سياقات مختلفة، مثل كتاب الصاحبي لابن فارس، الذي تناول المعرب في عدة فصول، وخاصة في "باب القول في اللغة التي نزل بها القرآن."

علامات المعربة: وضع علماء اللغة العربية عدة علامات يمكن من خلالها معرفة ما إذا كانت الكلمة أعجمية الأصل أو معربة، ومن أبرز هذه العلامات:

1.النقل عن الأئمة:** إذا نقل أحد أئمة اللغة العربية، مثل الأصمعي، أن الكلمة ليست عربية، فهذا دليل على عجمتها.

2.مخالفة الأوزان:** إذا كانت الكلمة تخرج عن الأوزان المعروفة في اللغة العربية، مثل كلمة "إِبْرِيسَم"، فهذا يشير إلى أنها ليست عربية.

3.بدء الكلمة بنون وراء:** الكلمات التي تبدأ بنون ثم راء، مثل "نرجس"، غالبًا ما تكون أعجمية. وينطبق هذا على كلمات مثل "نرس" و "نورج" و "نرسيان" و "نرجه."

4.انتهاء الكلمة بزاي بعد دال:** الكلمات التي تنتهي بزاي بعد دال، مثل "مهندز"، لا توجد في اللغة العربية.

5.اجتماع الصاد والجيم:** اجتماع حرفي الصاد والجيم في كلمة واحدة، مثل "الصولجان" و "الجص" و "الصنجق"، يدل على أن الكلمة ليست عربية.

6.اجتماع الجيم والقاف:** اجتماع حرفي الجيم والقاف في كلمة واحدة، مثل "المنجنيق"، يشير إلى أن الكلمة ليست عربية.

7.خلو الكلمات الرباعية والخماسية من أحرف الذلاقة:** أحرف الذلاقة، وهي مجموعة في كلمة "مُرَّ بِنْفُل"، يجب أن توجد في الكلمات العربية الرباعية والخماسية. فإذا خلت الكلمة من هذه الأحرف، فغالبًا ما تكون غير عربية. مثال على ذلك كلمتي "عفجش" و "خظائج."

8.اجتماع الباء والتاء والسين:** اجتماع هذه الحروف في كلمة واحدة، مثل "بستان"، يدل على أن الكلمة ليست عربية.

9.اجتماع الجيم والطاء:** اجتماع حرفي الجيم والطاء، كما في كلمتي "الطاجن" و "الطيجن"، يشير إلى أن الكلمة ليست عربية.

10.ندرة اجتماع الراء واللام:** اجتماع حرفي الراء واللام نادر في اللغة العربية، ويقتصر على كلمات قليلة مثل "ورل."

11.الدال والذال:** لا توجد في اللغة العربية كلمة تتضمن دالًا متبوعة بذال، إلا في حالات نادرة.

12.الشين بعد اللام:** يرى ابن سيده أنه لا توجد في اللغة العربية كلمة عربية خالصة تتضمن شينًا بعد لام، فالشين دائمًا ما تأتي قبل اللام.

طرق أخرى للتعرف على الكلمات المعربة:

- الدراسات التاريخية والبحوث العلمية:: يمكن الاستعانة بالدراسات التاريخية والبحوث العلمية لمعرفة ما إذا كان حيوان أو نبات أو دواء معين غير موجود في جزيرة العرب، مما يدل على أن اسمه ليس عربيًا أصيلًا. وقد توصل الباحثون إلى أن معظم أسماء المعبودات والمصطلحات الدينية التي دخلت العربية جاءت من الهيروغليفية والحبشية والعبرانية، مثل ألفاظ "الحج" و"الكاهن" و"عاشوراء" من العبرانية.

أما أسماء العقاقير و الأطياب، فأكثرها من أصل هندي، مثل "المسك" (مشكا في السنسكريتية) و"الزنجبيل" (زنجابير في السنسكريتية). في حين أن معظم أسماء الأطعمة والثياب والفرش والأسلحة والأدوات والملابس والأواني جاء من اللغة الفارسية.

- **دو افع التعريب**: أشار بعض العلماء إلى دوافع التعريب بشكل غير مباشر، ومن خلال تتبع هذه الإشارات، يمكن استخلاص الأسباب التي دفعت العرب إلى تعريب الكلمات، ومن أهمها:

1الحاجة والضرورة: عندما كانت بعض الأشياء أو المفاهيم حصرية بثقافات أخرى، كالفُرس، اضطر العرب إلى تعريب أسمائها أو استعارتها كما هي. ومن الأمثلة على ذلك:

الأواني:: الكوز، الجرة، الإبريق، الطشت، الخوان، الطبق، القصعة، السُّكْرجَّة.

الملابس:: السّمُّور، السنجاب، القاتم، الدّلق، الخز، الديباج، السندس.

الجواهر: الياقوت، الفيروزج، البلَّور.

ألوان الخبز: الكعك، الجردق، السميذ.

الرياحين: النرجس، البنفسج، النِّسرين، الياسمين.

الطيب: المسك، العنبر، الكافور، الصندل، القرنفل.

والإغراب:** أشار ابن دريد إلى أن العرب استخدموا بعض الكلمات الأعجمية بشكل يشبه الألغاز، وذلك بهدف الإغراب والتميز في الكلام.

ينظر :المزهر، ج 1،ص 269.

ينظر: المعرب ،ص10_11،

ينظر:15. المزهر ،ص 279.